موازنة بين كتابي الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام و أبي جعفر أحمد بن نصر الداودي المالكي

A comparison between the books of Al-Amwal by Abu Ubayd al-Qasim ibn Sallam and Abu Ja`far Ahmad ibn Nasr al-Dawudi al-Maliki

د. يامن خليل

Khelil YAMEN

[1] جامعة المسيلة،

البريد الالكتروني المهني: khelil.yamen@univ-msila.dz

تاريخ الاستلام: 28 /2026/04 تاريخ القبول: 15 /2026/06 تاريخ النشر: 30 /2026/06

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى تسليط الضوء على كتابين مهمين يعتبران من أقدم الكتب في تأصيل علم الاقتصاد الإسلامي، وهما كتابا الأموال لأبي عبيد وأبي جعفر أحمد بن نصر الداودي، حيث تم التعريف بكلا العالمين وتسليط الضوء على كتابيهما، وإجراء موازنات ومقارنات بين كتابي الإمامين من الناحية المنهجية والعلمية، وبيان إسهاماتهما في بناء لبنات علم الاقتصاد الإسلامي والمعاملات المالية الإسلامية، وكان من أبرز أهداف البحث بيان مشاركة علماء المسلمين في تأصيل قواعد علم الاقتصاد وأحكام المال من الناحية الشرعية، كما خلصت الدراسة إلى نتائج مهمة منها:

-السبق الزمني لعلماء المسلمين في التأليف في مجال الاقتصاد الإسلامي.

-مسايرة العلماء لأزمنتهم وإيجاد الحلول لكل الأزمات التي تمر بالأمة.

كلمات مفتاحية: الإمام أبوعبيد، الإمام الداودي، كتاب الأموال، الاقتصادي الإسلامي، النظام المالي.

Abstract:

This article aims to shed light on two significant works considered among the foundational texts of Islamic economics: Al-Amwal by Abu Ubaid al-Qasim bin Sallam and the work of Abu Jafar Ahmad bin Nasr al-Daudi. The study provides an introduction to both scholars, examines their respective works, and conducts a comparative analysis from both methodological and scientific perspectives. Furthermore, it highlights their contributions to establishing the building blocks of Islamic economics and Islamic financial transactions. One of the primary objectives of this research is to demonstrate the proactive role of Muslim scholars in codifying the principles of economics and the jurisprudential rulings regarding wealth. The study concludes with several important findings, most notably:

- The historical precedence of Muslim scholars in authoring works within the field of Islamic economics.
- The scholars' responsiveness to their contemporary contexts, demonstrating their ability to provide solutions to the various crises encountered by the Muslim community throughout history.

Keywords: Imam Abu Ubaid- Imam al-Daudi-Kitab al-Amwal (The Book of Wealth) Islamic Economics- Financial System

المؤلف المرسل: د يامن خليل، جامعة المسيلة، البريد الالكتروني المهني: khelil.yamen@univ-msila.dz

1. مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، أحمد سبحانه حمد الشاكرين، وصلى الله وسلم على النبي الأمي المهدى إلى الناس أجمعين، وعلى آله وصحبه المنتخبين المنتجبين وبعد:

فلا زال أئمّة الإسلام ينصرون هذه الشّريعة الغرّاء بتصنيفاتهم ومؤلّفاتهم، تقريرا لأصول الإسلام ومحاسنه وبيان تفاصيل شرائعه.

ومن بين الجوانب المهمّة التي اعتنى بها الأئمّة جانب النّظام الماليّ الإسلاميّ، حيث كان لفقهاء الأمّة قَصَبُ السّبْق في تدوين أصوله وقواعده وأسسه، وكان من أقدم من أَلَّفَ في هذا الباب الإمام الكبير المجتهد أبو عبيد القاسم بن سَلّام رحمه الله في كتابه الأموال، وجاء بعده الإمام المالكيّ الكبير أحمد بن نصر الدّاودي المسيليّ رحمه الله، فألّف كتابًا بالعنوان نفسه، وضمنه مباحث جليلة لها تعلق بالمال والاقتصاد والزكاة والغرامات وكيفية تصرف الولاة في الأموال، ممّا يفتح المجال للباحثين حول طرح جملة من التّساؤلات حول هذين المصنّفين الجليلين لعالمين كبيرين.

ويمكننا أن نطرح إشكالية رئيسية حول هذه الدراسة.

هل حصل اتفاق وتطابق بين منهجي الإمام أبي عبيد والداودي في كتابيهما الأموال، بحيث لا يمكننا إدراك فوراق بينهما؟

وتفرع عن هذه الإشكالية الرئيسية مجموعة إشكاليات فرعية

ما هي منزلة الإمامين أبي عبيد القاسم بن سلّام وأبي جعفر الدّاوديّ الفقهيّة؟

وما مضمون كتابيهما في الأموال؟

وهل اتفاقهما في العنوان دالٌّ على تطابقهما في المضمون؟

وما هي إضافات كل واحد من الكتابين للنظام المالي الإسلامي؟

والفرضية الرئيسية التي يمكن أن نقدمها في هذه الدراسة، تتمثل في كون هذين الكتابين يمثلان أحد أهم اللبنات الأولى والأساسية في مجال علم الاقتصاد الإسلامي، وإن كانت ملامح المشاركة عند هذين الإمامين تختلف عمن جاء بعدهما نظرا للفارق الزمني واختلاف كيفية الطرح ونحو ذلك.

ومن الفرضيات الفرعية:

أنه يمكن تصور وجود فوارق منهجية وعلمية بين الكتابين.

يتصور وجود إضافات في إحدى الكتابين لم يتضمنها الكتاب الآخر.

المنهج المتبع في الدراسة:

لقد استلزمت الدراسة اتباع منهج المقارنة، نظرا لوجود كتابين ينتميان إلى مدرسة واحدة، وهي مدرسة الفقهاء، فلزم من ذلك وجود منهج المقارنة لإثبات أوجه الاتفاق والافتراق بينهما.

كما تم استخدام المنهج الوصفي، وذلك عند التعريف بالكتابين والكلام على مضمونهما ومحتوياتهما ونحو ذلك، فكان لزاما اللجوء إلى المنهج الوصفي ولا بد.

ولأجل الإجابة عن هذه الأسئلة السابقة وتأكيد الفرضيات المقررة جاء هذا المقال في محاور كالآتي:

المحور الأول: ترجمة الإمام أبي عبيد القاسم بن سلام وإبراز جوانب مهمّة من حياته.

المحور الثاني: التّعريف بكتابه الأموال وتسليط الضوء على جوانب مهمة منه.

المحور الثالث: التعريف بالإمام أحمد بن نصر الداودي المالكي.

المحور الرابع: التعريف بكتابه الأموال.

المحور الخامس: الموازنة بين الجوانب المنهجية والعلمية للكتابين.

خاتمة: وتتضمّن الخلاصة وأهمّ النتائج.

2. المحور الأول: ترجمة الإمام أبي عبيد القاسم بن سلام و إبراز جوانب مهمة من حياته.

1.2 الفرع الأول: اسمه، ونسبه و مولده.:

اتّفق جميع من ترجم للإمام أبي عبيد رحمه الله على أنّ اسمه القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي الخزاعي البغدادي التركي مولى الأزد، وكنيته : أبو عبيد بصيغة التّصغير، وأصله من هراة بخراسان (البغدادي، 1997، صفحة 104/12).

و قد ولد أبو عبيد رحمه الله بمدينة هَراة، سنة سبع وخمسين ومائة من الهجرة، وكان أبوه عبدا روميًّا لرجل من أهلها. فنشأ أبو عبيد في هَراة، وبها تَعلّم، كما حظي بتعلم القرآن مبكرا، وهذا ما جعل لغته فصيحة ومبهجة على الرغم من عجمية والديه، فاعتنى به عماية خاصة وأرسله للكتاب لحفظ القرآن وتعلم الواجب من أمور الشريعة، وظهرت عليه أمارات النّجابة (البغدادي، 1997، صفحة 104/12)، (الذهبي، 1985، صفحة 506/10)

2.2 الفرع الثاني: مكانته العلمية ومذهبه الفقهي وثناء العلماء عليه.

لقد بلغ الإمام أبو عبيد رحمه الله مكانة علمية مرموقة في زمانه، وقد عد من كبار المجتهدين والأئمة المحققين، فقد لقب بالإمام، الحافظ المجتهد، ذي الفنون أبي عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله، كما كان رحمه الله فاضلا في دينه، وفي علمه، ربانيا متفننا في أصناف علوم الإسلام من القرآن، والفقه، والعربية، والأخبار. حسن الرواية، صحيح النقل، لا يعلم أنّ أحدا من الناس طعن عليه في شيء من أمره ودينه علما وجبلا شامخا وراسخا في العلم والدين، فقد ترك تراثا متنوعا بين الفقه وعلوم القرآن واللغة والحديث، مؤيدا بتوفيق من الله، وقد وجد في بيئة كأنها نسجت على مراده تحترم العلم وتشجع على طلبه والتفرغ له: (البغدادي، 1997، الصفحات 408/12-411)، (الذهبي، 1985، صفحة 501/8)

ولما ظهرت مكانة أبي عبيد العلمية وسمو آدابه وأخلاقه انطلقت أقلام العلماء وألسنتهم من شيوخه وأقرانه وتلاميذه ومن بعدهم تفيض بالثناء عليه وتشيد بمكانته ورسوخ قدمه في العلم والفضل

ويكفي للدّلالة على ذلك ما قاله عبد الله بن جعفر ابن درستويه الفارسي النّحويّ في حقه: " من علماء بغداد المحدثين النحويين على مذهب الكوفيين، ورواة اللغة والغريب عن البصريين والكوفيين. والعلماء بالقراءات، ومن جمع صنوفا من العلم، وصنف الكتب، في كل فن من العلوم والأدب فأكثر وشهر، أبو عبيد القاسم بن سلام، وكان ذا فضل ودين، وستر ومذهب حسن (البغدادي، 1997، صفحة 404/12)

أمّا مذهبه الفقهيُّ فقد كان الإمام أبو عبيد رحمه الله عالما متبحرا مجتهدا وإن كان قد نسب إلى مذهب الشافعي رحمه الله، إلا أن اختياراته وترجيحاته تدل على استقلاله وإمامته، ولهذا قال فيه الحافظ الذهبي: " الإمام، الحافظ المجتهد، ذو الفنون (الذهبي، 1985، صفحة 501/8)

2- 3الفرع الثالث: شيوخه وتلاميذه.

لقد أخذ الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله العلم عن جماعة من أهل العلم بلغوا حد الكثرة والتنوع، فهو إمام في اللغة والقراءات والحديث والفقه، وعن كل هؤلاء أخذ فمن أشهرهم:

- من شيوخه في اللغة: أبو عبيدة معمر بن المثنى مولى بني تميم القرشي البصري اللغوي.
- ومنهم أيضًا: أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان الكسائي الكوفي النحوي اللغوي: (البغدادي، تاريخ بغداد، صفحة 404/12)، (الحموي، 1993، صفحة 1737/4)
- ومن أشهر شيوخه في الفقه: الإمام المجتهد الكبير محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب الشافعي المكي المصري وفاة، وعليه تفقه إمامنا أبو عبيد: (المزي، 1980، صفحة 356/24)
- ومن أشهر شيوخه في الحديث: أبو بِشْر إسماعيل بن إبراهيم بن مُقْسِم الأسدي، البصري المعروف بابن عُلَيَّة.
- ومنهم أيضا: هُشَيم بن بشير بن القاسم بن دينار السلمي بن أبي خازم الواسطي أبو معاوية: (المزي، 1980، صفحة 23/3)، (العسقلاني، 1325، صفحة 53/11)

كما تتلمذ على يد هذا الإمام الكبير جملة من العلماء والفضلاء، ومنهم على سبيل التمثيل لا الحصر:

- عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبدالصمد الدارمي المشهور بالإمام الدارمي صاحب السّنن المعروف .
- ومنهم أبو الحسن علي بن عبدالعزيز المرزبان بن سابور البغوي، أحد أخصّ تلاميذ الإمام أبي عبيد رحمه الله (المزي، 1980، صفحة 111/10)
- ومنهم الإمام الكبير: أبو الفضل عباس بن محمد بن حاتم بن واقد الدوري البغدادي (المزي، 1980، صفحة 245/14)
- **2-4 الفرع الرابع: وفاته و آثاره العلمية.**

بعد حياة عامرة بالعلم والعطاء والفضل والسخاء لحق الإمام أبوعبيد بربه سنة أربع وعشرين ومائتين، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة على الصحيح من أقوال أهل العلم، ولما توفي أبو عبيد -رحمه الله- رثاه عبد الله ابن طاهر فقال:

يا طالب العلم قد أودى ابن سلام قد كان فارس علم غير محجام
أودى الذي كان فينا ربع أربعة لم يلف مثلهم إسناد أحكام
حبر البرية عبد الله عالمها وعامر ولنعم الثاويا عامي
هما أتانا بعلم في زمانهما والقاسمان ابن معن وابن سلام
(البغدادي، تاريخ بغداد، صفحة 409/12)

وقد ترك الإمام أبو عبيد رحمه الله ثورة علمية هائلة تمثلت في مصنفاته العلمية، ومن أهممها وأشهرها:

1 - له كتاب الأموال في مجلد كبير مطبوع .
2 . معاني القران
3- فضائل القرآن
4 . القراءات
5 . غريب القرآن
6 . غريب الحديث و هو أهم كتبه طبع بالهند في أربع مجلدات .
7 . الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن
8 . لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم
9 . خلق الإنسان
10 . كتاب الإيمان "ومعالمه، وسننه، واستكماله، ودرجاته"
11 . الخطب والمواعظ
12 . الطهور
13 . الأموال
14 . السلاح
15 . معاني الشّعر
16 . المذكّر والمؤنث
17 . الأضداد؛
18 . الأمالي.
19- الأمثال غيرها و هو مطبوع و غير ذلك كثير من الكتب و خاصة في الفقه والحديث واللغة (الذهبي، 1985، صفحة 501/8)

3. المحور الثاني: التعريف بكتاب الأموال لأبي عبيد وتسليط الضوء على جوانب مهمة منه.

1.3 الفرع الأول: اسم الكتاب ونسبته لمؤلفه.

ذكر المؤرخون أنّ العلماء ألفوا كتبا بهذا العنوان تبلغ سبعة وأقدمها كتاب الأموال لأبي عبيد رحمه الله (النديم، 2014، صفحة 216/1)، لكنّ الحافظ ابن كثير رحمه الله ذكره بعنوان أتم حيث ساق نصا له في تفسيره وسماه: الأموال

الشرعية وبيان جهاتها ومصارفها (الدمشقي، 1999، صفحة 9/4)، غير أنّ أغلب من ترجم لأبي عبيد , نسب له كتاب الأموال, مما لا يدع مجالا للشك في صحة نسبة هذا الكتاب الى مؤلفه ,هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى طبع الكتاب أكثر من خمس طبعات بعناية جمع من العلماء وكلهم اتفقوا على نسبته إليه

2.3 الفرع الثاني: منهج المؤلف في الكتاب.

لقد جاء كتاب الأموال للإمام أبي عبيد رحمه الله جامعا لمنثورات المسائل المتصلة بمالية الدّولة الإسلامية وحاويا لها ومصنفا لفرع جديد من فروع الفقه الإسلامي وهو الفقه المالي, حيث يبحث كتاب الأموال في موارد الدولة المالية وأوجه صرفها، وهو يتميز بأنه قد جمع كثيرا من الأحاديث والآثار، وكثيرا من الرسائل والمعاهدات، بجانب موضوعه الرئيس فكان بذلك سجلا وثائقيا لهذه الفترة المبكرة من صدر الإسلام.

ويمكن تلخيص منهجه في نقاط كالآتي:

- لقد سار أبو عبيد في عرضه للمسائل الفقهية في هذا الكتاب بذكر الباب ثم تقسيمه إلى فروع ومسائل، ثم يعرضها مسألةً مسألةً، ذاكرا الآراء فيها من لدن الصّحابة إلى التّابعين إلى فقهاء زمانه، مدللا لكل رأي مكثرا من ذكر الأحاديث و الآثار في ذلك، مناقشا لتلك الآراء مرجحا ليتوصل إلي الرأي الذي يختاره مصرحا به.
- ذكر أبو عبيد رحمه الله في مقدمة كتابه أنّ في أصناف الأموال التي سيتحدث عنها سننا و أذكارا كثيرة، لكن كان منهجه أن لا يذكر كل ما ورد من السّنن و الآثار وذلك لئلّا يطول الكتاب، بل اختار منها ما رآه مناسبا، ويبدو هذا واضحا جليّا في عباراته عبر ثنايا الكتاب كقوله «وفي هذا أحاديث كثيرة، يطول بها الكتاب ».
- اتّبع أبو عبيد في تناوله لموارد الدولة الإسلامية المالية ونفقاتها العامة قاعدتين رئيستين هما :البيان بعد الإجمال, وعدم تأخير البيان عن وقت الحاجة .حيث تراه أحيانا يكتفي بذكر الأصل التشريعي لأحد الموارد أو لوجوه إنفاقه ,ثم يردف ذلك في باب لاحق بيان التنظيم الفني لهذا الإيراد وطرق استخدامه، وتراه في أحيان أخرى يعني بالحديث المترابط عن جميع وجوه المسألة الواحدة.
- قسم أبو عبيد كتابه إلى أربعة أجزاء تضم ثمانية كتب، تنقسم بدورها إلى مجموعة من الأبواب والمسائل والمواقف المتحدة في الموضوع أحيانا والمختلفة فيه أحيانا أخرى، وله في هذا التقسيم فضل السبق على غيره، وقد مهّد لهذه الكتب ببعض المباحث التي تعدّ بمثابة مدخل أو مقدمة إلى موضوعات الكتاب مثل :حقّ الإمام على الرعيّة، وحقّ الرعيّة على الإمام، وصنوف الأموال التي يليها الأئمّة للرعيّة.
- اعتمد طرق الاستدلال المعتبرة في أصول الفقه مع تعقبه للآراء المنقولة وانتقاده الأسانيد، ومن الأمثلة على ذلك:" قوله رحمه الله : فهذا خالد بن الوليد عامل أبي بكر رضي الله عنه يدعو أهل فارس إلى أداء الجزية وهم مجوس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ... ، ولا أحسب هذا محفوظا عنه ولو كان له أصل لما حَرّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذبائحهم ومناكحهم ، وهو كان أولى بعلم ذلك ... وقد قال بعضهم : قبلها النبي صلى الله عليه وسلم منهم حين نزلت عليه : " لا إكراه في الدين" .
- الاهتمام بتحديد المصطلحات والمفاهيم: ومن ذلك قوله: وإنّما نرى الحسن أراد بالعرب ههنا أهل الأوثان منهم الذين ليسوا بأهل كتاب، فأمّا من كان من أهل الكتاب فقد قبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم وذلك بين في أحاديث".

كل هذا مع ظهور شخصية هذا الإمام الكبير في التحليل والمناقشة والاستقلال في الترجيح والترشيح، مما جعل كتابه هذا يُعدّ موسوعة في بابه عند أهل الاختصاص (شفيق، 2015، الصفحات 35-37) (الروقي، 1987، الصفحات 29-30)

3-3 الفرع الثالث : مكانة الكتاب عند علماء الاقتصاد الإسلامي.

لقد أشاد العلماء كثيرا بالقيمة العلمية لكتاب الأموال للإمام أبي عبيد رحمه الله، واعتبروه من أجل الكتب الفقهية والمالية في الإسلام، فهو يعد ضمن أهم مصادر تاريخ الاقتصاد الإسلاميّ، لأنه يرسم بعض ملامح السياسة المالية الاقتصادية (الكبيسي، 2001، الصفحات 141-142)

إذ يعتبر كتابا مصنفا في المالية العامّة الإسلامية؛ فهو يبحث في أموال الدّولة كالخراج والجزية والزكاة، ووجوه الصرف باعتبارها جزءا من النّظام الاقتصادي الإسلامي، وعلى التصنيف العام يعتبر كتاب فقه متخصص، وهنا معنى آخر يلتفت إليه وهو الربط بين الفقه وأصوله ويستفيد منه أنواع من الباحثين والقارئين.

فهو بهذا يعد من "أحسن ما صنّف في الفقه وأجوده كما يقول ابن دُرستويه (البغدادي، تاريخ بغداد، 1997، صفحة 407/12) (النووي، -، صفحة 257/2)

ولذا أثنى عليه المعاصرون واعتبروه ذا قيمة علمية لا تنكر، فهو خير ما ألف في الفقه الإسلامي ..وبه كل ما يتعلق بالنظام المالي الإسلامي .."

لذا فلا عجب أن يُعد كتاب الأموال من أهم المراجع التي يجد فيها القاري تفصيلا وافيا لهذه الناحية (هراس، الصفحات 3-4)

المحور الثالث: التعريف بالإمام أحمد بن نصر الداودي المالكي.

بعد أن تكلمنا عن سيرة الإمام الكبير أبي عبيد القاسم بن سلام رحمه الله وكتابه الفذّ، حري بنا أن نعرف العلم الثاني الذي شارك أبا عبيد في التأليف والتصنيف في الباب نفسه.

3-1الفرع الأول: اسمه ونسبه وكنيته.

هو الإمام الكبير أبو جعفر أحمد بن نصر الدّاودي الأسديّ، ولم تذكر المصادر تاريخ ولادته، كما تردّدت المصادر في الجزم بمكان الولادة وأصل النشأة، فذكرت أن أصله من مدينة المسيلة ومن مواليدها وقيل من مواليد واحة ليانة بأعمال بسكرة حيث يوجد له مسجد ومقبرة يحملان اسمه، وقد أكد هذا بعض مؤرخي الجزائر أن الإمام الداودي من ليانة (ولاية بسكرة) ولأهله مقبرة ببسكرة مثل ليانة ومسجد جامع ببسكرة، وهو لياني المولد بسكري الإقامة مسيلي الإمارة تلمساني المدفن (بوعزيز، 1995، صفحة 30/1) (الإشبيلي، 1998، صفحة 76)

2.3 الفرع الثاني: مكانته العلمية ومذهبه الفقهي وثناء العلماء عليه

لم تسعفنا كتب التراجم كثيرا عن سيرة هذا الإمام الكبير، واكتفت بإشارات يفهم منها أنّ الداودي ولد بالمسيلة، وقضى بها بدايات حياته، وطلبه للعلم، وأنّه لم يرحل عنها حتى صار له تلاميذ نهلوا من علمه، تذكر المصادر أن الإمام الداودي تنقل في طلب العلم إلى طرابلس الغرب، حيث سكن واستوطن بها وأقام بها مدة، ولم تذكر له رحلة غيرها، وقد طلب العلم بها واعتمد بدرجة كبيرة على قراءاته الخاصّة، واشتغل بدراسة المذهب المالكي: فحفظ الموطأ وقام بشرحه، وكان الداودي رحمه الله مالكيا متمكنا محققا في المذهب، وقد وصفه القاضي عياض بأنه من أئمة المالكية بالمغرب المتسعين في العلم المجيدين للتأليف فقيها، فاضلا، عالما، متفننا، مؤلفا مجيدا، له حظ من اللسان، والحديث (اليحصبي، 1965، الصفحات 102/7-103) بل لقد عمل على نشر مبادئ المذهب المالكي بمدن المسيلة وتنس وتلمسان، وكان ممن ساهم في وضع أسس صلبة للمالكية ببلاد المغرب الأوسط، ولا يعني هذا أنّه كان مقلّدا محضا في المذهب، بل كان يدرس أقوال أئمّة المذهب ويعرضها على السنة، فيدقّق ويمحّص يجتهد ويخالف إمامه في بعض اجتهاداته.

وقد أثنى عليه العلماء ووصفوه بأوصاف تدل على إمامته وفقهه وعلمه، قال فيه الذهبي: وكان ذا حظ من الفصاحة والجدل (الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 1993، صفحة 57/28).

ووصفه بعض العلماء بأنّه من جملة العلماء المحققين المدققين في النقل الثقات الأثبات (الخزاعي، 1998، صفحة 622).

3-3 الفرع الثالث: شيوخه وتلاميذه.

لم تذكر كتب التراجم التي ترجمت لإمامنا الداودي شيئا عن شيوخه الذين تخرج على أيديهم، بل إنها تكاد تجمع على أنه نشأ عصاميا، لم يكن له شيوخ تتلمذ عليهم، بل إنه أدرك العلم وحده، ونبغ فيه بواسطة اجتهاده ودرسه، حتى بعض الباحثين ذلك منقبة له تقدمه على غيره. حتى قالوا : «... لم يتفقّه في أكثر علمه على إمام مشهور، وإنما وصل بإدراكه وذكائه" (مخلوف، 2003، صفحة 164/1).

وهذا على الأغلب، ولكن بعض العلماء ذكروا أنه تتلمذ على جماعة من أهل العلم، ومن أشهرهم إبراهيم بن خلف الأندلسي: تتلمذ عليه الداودي وأخذ عنه موطأ مالك برواياته المشهورة، قال القضاعي: « روى عنه أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي، ذكر ذلك أبو الوليد هشام بن عبد الرحمان الصابوني في برنامجه، وحدث بموطأ مالك رواية أبي . مصعب الزهري وعبد الله بن مسلمة القعنبي، ويحي بن يحي الأندلسي عن الداودي، و عنه قرأت ذلك بخط محمد بن عياد" (الأبار، 1995، صفحة 115/1).

أما تلاميذه فقد كثر الآخذون عن الإمام الداودي رحمه الله، ومن أشهر من أخذ عنه الإمام أبو عبد الملك مروان بن علي القطان البوني-وهي اليوم مدين عنابة- وقد لازم الداودي قرابة الخمس سنين ونهل من علمه (فرحون، صفحة 339/2).

ومنهم القاضي أبو بكر أحمد بن عبد الله بن أبي زيد القيرواني: ابن الإمام أبي محمد ابن أبي زيد صاحب الرسالة والنوادر، كان قاضيا في القيروان ومن أشهر فقهائها، توفي بعد450هـ، روى التهذيب عن البراذعي وكان يثنى عليه كثيرا، أخذ عن أبي جعفر الداودي وغيره (مخلوف، 2003، صفحة 116) وغيرهم كثير من الطلاب.

4-3 الفرع الرابع: وفاته و آثاره العلمية.

بعد حياة عامرة بالعلم والعطاء، لقي الإمام الداودي ربه ووافته المنية سنة 402 للهجرة على الصحيح، وعليه أكثر المؤرخين (اليحصبي، 1965، صفحة 104/7)

ولكنه رحمه الله ترك تراثا زاخرا للأمة، وانتشرت مصنف ات الإمام الداودي شرقا وغربا وانتفع بها الناس، وكانت مصنفاته متنوعة، فشملت الفقه، والأصول، والعقيدة، والحديث وشروحه، ... وهي دليل يثبت مكانة هذا الإمام العلمية ورسوخ قدمه في هذه الفنون جميعا، ومن هذه المصنفات الآتي:

- النّامي في شرح الموطأ: أثبت هذا العنوان من ترجم له كالقاضي عياض وغيره، وذكر بعنوان آخر وهو تفسير الموطأ، وقد كان من أوائل ما ألّفه وأملاه عندما كان بطرابلس الغرب وهو في عداد المخطوطات .
- كتاب النصيحة في شرح البخاري: وهو كتاب مفقود، وهذا الكتاب وإن كان مفقودا، إلا أنّ اعتماد كتب شروح البخاري عليه أسهم في حفظ الكثير من نصوصه، وخاصة فتح الباري، لابن حجر العسقلاني و عمدة القاري، لبدر الدين العيني.
- الواعي في الفقه المالكي: وهو كتاب شامل مستوعب في تحرير مسائل مذهب مالك.
- كتاب في الأصول: وهو في عداد المفقود أيضا.
- كتاب الأموال: وهو موضوع الدراسة والموازنة بين كتاب أبي عبيد.

الإيضاح في الرد على القدرية: هكذا في أغلب كتب التراجم، لكن صحح الذهبي أنّ الكتاب اسمه الإيضاح في الرد على البكرية، وهي طائفة ضالة كانت في عصر الإمام الداودي رحمه الله (الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 1993، صفحة 87/8)، (فرحون، صفحة 166/1)، (مخلوف، 2003، صفحة 164/1)

المحور الرابع: التعريف بكتابه الأموال.

1.4 الفرع الأول: اسم الكتاب ونسبته لمؤلفه.

أغلب من ترجم للإمام الداودي أثبت صحة هذا الكتاب ونسبه إليه، وذكروه بهذا العنوان دون زيادة أو نقصان، القاضي عياض اليحصبي والخزاعي التلمساني وغيرهم، فهو صحيح النسبة إليه قطعا وشهرته تغني عن الإسناد إليه (اليحصبي، 1965، صفحة 103/7)، (الخزاعي، 1998، صفحة 792).

4-2 الفرع الثاني: منهج المؤلف في الكتاب.

يعد كتاب الأموال للإمام الداودي المالكي رحمه الله من الكتب النفيسة التي تناولت النظام المالي الإسلامي، في جملة كتب نفيسة عنيت بهذا الجانب، ككتاب الأموال لأبي عبيد والأموال لابن زنجويه ت 251هـ، وكتاب الخراج لأبي يوسف رحمه الله ت182هـ، وغيرها من المصنفات، وقد قسمه إلى أربعة أقسام وفي كل قسم تناول جملة من القضايا المالية والاقتصادية التي تبنى

عليها الهيكلة الاقتصادية للدولة الإسلامية، فتحدث في الجزء الأول عن أحكام الأموال واستخلاف الأمراء عليها وحكم أموال الخمس والغنائم، وفي الجزء الثاني استعرض الكلام عن حكم إنشاء الديوان ومن يستحق من المسلمين أخذ العطاء ومن لا يستحقه بناء على فعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفي الجزء الثالث تكلم عن فتح بعض أمصار المسلمين وأحكام القتل والفداء والمن وما ينفق على المجاهدين وأحكام الغنيمة والجزية وما شابه ذلك من أحكام، وفي الجزء الرابع تكمل عن الأموال التي لا يعرف أصحابها والأموال المجهولة والمغتصبة وأحكام ذم السؤال وفضل العفاف ونحو ذلك.

ويمكن اختصار منهج الإمام الداودي في كتابه في نقاط محورية كالآتي:

- الاستشهاد بالنصوص الشرعية، من القرآن والسنة النبوية الشريفة.
- ظهور الصناعة الحديثية في كتابه، فهو يحكم على الأحاديث صحة وضعفا.
- العناية بتفسير الأحاديث النبوية وبيان غريبها ومشكلها وبيان الصواب في معناها.
- ذكر آراء العلماء واختلافهم.

هذا ما يمكن أن يقال باختصار عن منهج الإمام الداودي في كتابه ويترك التفصيل لمحل الموازنة (شحاذة، 2008، الصفحات 65-68)، (ذياب، 2006، صفحة 24).

المحور الخامس: الموازنة بين الجوانب المنهجية والعلمية للكتابين.

بعد أن تعرفنا على سيرة هذين الإمامين الكبيرين وأخذنا نبذة مختصرة عن كتابيهما الأموال يحسن بنا أن نقف على الفروق المنهجية والعلمية للكابين

أولا: الجوانب المنهجية لكتاب الأموال لأبي عبيد و أبي جعفر الدّاودي.

- يعتبر كتاب الأموال للإمام أبي عبيد رحمه الله من الكتب المسندة، فهو جار فيه منهجيا على طريقة المحدثين، وعليه فيلاحظ أنه غلبت فيه الصنعة الحديثية والرواية، وهو وإن كان رحمه الله يعلق على الأحاديث والآثار الواردة في الكتاب ويذكر شيئا من فقهها ومعانيها إلا أنّ جانب الرواية أغلب (عابد، 1984، صفحة 67/1).

- بينما يعد كتاب الأموال لأبي جعفر الداودي رحمه الله تصنيفا فقهيا أكثر منه حديثيا، فالعقلية الفقهية بارزة في طريقة التأليف، فتراه يكثر من المناقشات الفقهية والردود على المخالفين، مع ما فيه من إجابة عن نوازل وأسئلة وفتاوى وتصوير للمسائل وغير ذلك، مما يجعلنا نجزم بمخالفة كتاب الإمام الداودي لكتاب أبي عبيد من الناحية المنهجية (ذياب، 2006، الصفحات 24-25)، (شحاذة، 2008، صفحة 78).

- اعتمد أبو عبيد رحمه الله في كتابه الأموال وعرضه للمسائل الفقهية بذكر الباب ثم تقسيمه إلى فروع ومسائل ثم يعرفها مسألة مسألةً، مع ذكر الآراء من لدن الصحابة رضي الله عنهم إلى فقهاء زمانه، وهو في هذا يتفق مع الإمام الداودي المتأخر عنه زمنا، فقد قسّم كتابه إلى أربعة أجزاء وتحت كل جزء جملة من القضايا والأبواب والمسائل الفقهية المالية المهمة، فهو يستفتح الفصل والباب بذكر الآيات والأحاديث التي يستند إليها ويُردفها بالاستنتاج والتفسير (عابد، 1984، الصفحات 67/1-68)، (شحاذة، 2008، الصفحات 68-69).

- اتفق الإمامان من الناحية المنهجية على تفسير الألفاظ الغريبة الواردة في الأحاديث والآثار، وإن كان أبو عبيد رحمه الله أقعد في هذا الباب، وذلك لإمامته في اللغة فهو أحد فرسانها بشهادة جميع علماء عصره (عابد، 1984، الصفحات 67/1-68)، (شحاذة، 2008، الصفحات 68-69).

- من ناحية الاصطلاح المنهجي في نقل الإجماعات، فقد نقل الإمام أبو عبيد رحمه الله في كتابه الأموال جملة من الإجماعات في مسائل الأموال والزّكاة وغيرها، ويحكيها بألفاظ متقاربة، من مثل أجمع المسلمون، أجمع القوم، إجماع الأمة، ومثله الإمام الداودي فقد استعمل في حكاية الإجماع عبارة اصطلاحية قريبة المأخذ مما ذكره أبو عبيد، إذ يقول : عوامّ العلماء (سلام، الصفحات 220-541-651)، (شحاذة، 2008، صفحة 69).

- يشترك الإمامان الجليلان في منهجية علمية متعلقة بذكر الأحاديث الأحاديث والآثار، لاسيما الإمام أبو عبيد رحمه الله، فهو الإمام المحدث وفي عصر الرواية، فهو يذكر الروايات ويميزها بدقة سواء من ناحية المتن أو السند، فيورد الأسانيد ويصحح ويضعف ويُقوّي ويُوهّن، ويورد الطرق للحديث الواحد، وليس بعيدا عن ذلك صنيع الإمام الداودي المحدث، فهو أول شارح لصحيح البخاري، وله من العلم بالصنعة الحديثية ما شهد له الجميع، فتجده يُدقّق في إيراد الأحاديث الصحيحة ويستعمل لها لفظ"ثبت"، وله عناية بذكر الروايات الشاذة، وإذا شك في سند حديث استعمل له صيغة التمريض فيقول: روي من طريق في إسناده نظر...، وقد التزم أيضا بالتعريف بطرق الخبر من حيث أقسامها متواترا كان أم آحادا، وكان رحمه الله ممن يجيز الرواية بالمعنى (الكبيسي، 2001، الصفحات 143-144)، (شحاذة، 2008، الصفحات 72-76).

ثانيًا: الموازنة بين الجوانب العلمية للكتابين.

لقد تميز الكتابان بميزات علمية جعلت بينهما بعض الفروق المؤثرة، ويمكن إجمالها في نقاط مركزة كالآتي:

- يعتبر كتاب الأموال لأبي عبيد رحمه الله عند أكثر العلماء من المصنفات الفقهية رغم كونه من الكتب المسندة، وذلك بالنظر إلى مضمونه وهو الفقه المالي، فتكلم فيه عن الفيء وأحكام الأراضي وإقطاعها والخُمُس وأحكام الصدقات التي هي الزكاة، وأحكام الغنائم والغزاة.
- أما كتاب الأموال للداودي رحمه الله، فهو وإن كان معدودا ضمن كتب الفقه، إلا أنه أخصّ بالاقتصاد الإسلامي، فبالإضافة إلى اهتمامه بالجانب المالي، فهو يحتوي على الكثير من المعالجات لقضايا اقتصادية كبرى، مثل ضوابط الملكية ومسائل الإصلاح الاقتصادي ومحاربة الفساد، وهذه المعالجة لا تقل أهميةً عن تناوله للمواضيع المالية، بل قد تكون الميزة الفارقة له عن سائر المصنفات في التي سبقته في الباب نفسه، ولهذا يصح لنا أن نقول: إنّه أصّلَ للفكر الاقتصادي الإسلامي لا النّظام المالي فحسب (ذياب، 2006، صفحة 25).
- اعتنى الإمام أبو عبيد رحمه الله بذكر خلاف العلماء في المسألة وركز على أقوال فقهاء الأمصار ممن كانوا قبله إلى عصره هو رحمه الله، فيغلب عليه ذكر الخلاف العالي لا سيما وهو أحد الأئمّة المجتهدين (عابد، 1984، الصفحات 1/68-69)
- وليس بعيدا عن ذلك منهج الإمام الداودي رحمه الله، فقد اعتنى بذكر أقوال الفقهاء والأئمة المجتهدين، وزاد عليه بميزتين اثنتين: الأولى اعتماده على أقوال مالك ومذهبه، ولهذا استند إليه حذاق المالكية في تقرير بعض مسائل المذهب والتزام اجتهاداته الصائبة، والأمر الثاني: أن الإمام الداودي انبرى لتصحيح بعض آراء المالكية وتقويمها، لاسيما في قطر المشرق الإسلامي وبالتحديد بعض مالكية العراق، فقد ألف القاضي إسماعيل بن إسحاق المالكي رحمه الله كتابا سماه الأموال وذكر فيه بعض الآراء، فانبرى الداودي لبيان ما فيه من أغلاط وأوهام وآراء غير سديدة (شحاذة، 2008، صفحة 77).
- كما تميز الداودي بإضافات فقهية وأبواب جديدة ليست موجودة فيما حرره الإمام أبو عبيد في كتابه، منها مضامين الباب العاشر والثالث وغيرها، بينما كتاب الأموال لأبي عبيد تناول فيه المسائل المسماة والخلافية بين فقهاء الأمصار، وتطرق الداودي إلى المسائل التي تعد من قبيل النوازل التي تعالج واقع الغرب الإسلامي، وقد ضمنه جملة من الفتاوى التي طرحت عليه في عصره.
- كما تميز الإمام الداودي رحمه الله في كتابه عما قرره أبو عبيد أنه أبرز نظرية اقتصادية متكاملة تعالج الواقع في كل زمان ومكان، وهي الاعتماد على الكمّ والكيف، كما أبرز جملة من القواعد الحاكمة للاقتصاد الإسلامي أهمها:
  أ- قاعدة المرجعية الإسلامية، بما فيها مراعاة الاحتكام إلى الشريعة والأمر بالعدل والحكمة ومنع الظلم.
  ب- قاعدة إيرادات أملاك الدّولة وحدود تصرفاتها في الأموال.

- قاعدة الإنفاق ووجوهه، وغير ذلك من القواعد التي أحكم بها نظرية الاقتصاد الإسلامي، مما جعله مرجعا لكل من كتب بعده في هذا المجال (ذياب، 2006، صفحة 28 وما بعدها)، (شحاذة، 2008، الصفحات 79-80).
- أخيرا، امتاز كل من الكتابين بالتوثيق التاريخيّ، بكونهما احتويا على قضايا ووقائع تاريخية حصلت في عصر الخلفاء الراشدين والصحابة رضي الله عنهم والتابعين، مع الاعتماد على الوثائق في نقل الخبر والاعتماد عليها في التحقيق وبناء الحكم هذا عند أبي عبيد، وفي الجانب الآخر عند الإمام الدوادي نجده أبرز الجانب التاريخي لمنطقة الغرب الإسلامي بما في ذلك الأندلس وصقلية، حيث يعتبر الإمام الداودي من المصادر المهمة والمتفردة التي عالجت القضايا الإدارية والاقتصادية في الغرب الإسلامي في حقبة القرن الرابع الهجري (شحاذة، 2008، صفحة 78)، (شفيق، 2015، صفحة 37)

خاتمة وأهم النتائج:

بعد أن عشنا مع هذين الإمامين الكبيرين ووقفنا على كتابيهما الجليلين في الاقتصاد الإسلامي تحليلا وتعريفا وموازنة، يحسن بنا في هذا المقام أن نسطر جملة من النتائج والخلاصات.

- إنّ التأليف في أصول المعاملات المالية والاقتصاد الإسلامي بدأ مبكرا عند علماء المسلمين بداية من القرن الثالث الهجري، وما كتاب إمامنا أبي عبيد القاسم بن سلام إلا دليل وشاهد واضح على ذلك.
- تميز الإمامان أبوعبيد القاسم بن سلام وأحمد بن نصر الداودي في كتابيهما الأموال، بالتأصيل وحسن التفريع للمسائل ودراستها بما يتوائم وعصريهما.
- اهتم الإمامان بالأدلّة الشّرعيّة في كتابيهما لا سيّما السّنّة النّبويّة لبيان كثير من المسائل المتعلّقة بالمال والاقتصاد.
- أبرز الإمامان أهمية تحصين بيت المال وتقوية موارده وتصويب جهات صرفه، وإن كان الإمام الداودي كان أكثر تميزا في هذا الجانب.
- تميز الإمام الداودي رحمه الله بفقه النوازل في كتابه ومعالجة كثير من القضايا الشائكة في عصره، فكان جامعا بين فقه المسائل وفقه النوازل.
- أبرز الإمام الداودي رحمه الله جانب تأثير القواعد الشرعية في تأصيل مسائل باب المال والاقتصاد خصوصا، فذكر كثيرا من القواعد الفقهية الضابطة لباب المال وأصول الاقتصاد الإسلامي، فكان بذلك سباقا لإعمال هذا الفن في علم الاقتصاد الإسلامي.
- يعتبر هذان الكتابان نواة قوية لتأصيل علم الاقتصاد الإسلامي، ويحسن البناء عليهما في كل ما يستجد من مسائل.

هذا ما يسر الله جمعه وتسطيره في هذا المقام وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادروالمراجع:

إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون. (بلا تاريخ). *الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب*. (محمد الأحمدي أبو النور، المحرر) القاهرة: دار التراث للطبع والنشر.

أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. (1325). *تهذيب التهذيب* (المجلد 1). حيدرآباد الدكن ، الهند: مطبعة دائرة المعارف النظامية، .

إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي. (1999). *تفسير القرآن العظيم* (المجلد 2). (سامي بن محمد السلامة، المحرر) الرياض ، السعودية: دار طيبة للنشر والتوزيع، .

الخطيب البغدادي. (1997). *تاريخ بغداد* (المجلد 1). (مصطفى عبد القادر عطا، المحرر) بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

القاسم بن سلام. (بلا تاريخ). *الأموال*. (خليل محمد هراس، المحرر) بيروت ، لبنان: دار الفكر.

إنعام الله محمد شفيق. (2015). *الآثار الاقتصادية للنفقات العامة من خلال كتاب الأموال لأبي عبيد* (المجلد 1). المدينة المنورة، السعودية: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

جمال الدين المزي. (1980). *تهذيب الكمال في أسماء الرجال* (المجلد 1). (بشار عواد معروف، المحرر) بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة .

حمدان الكبيسي. (2001). *منهجية القاسم بن سلام في كتاب الأموال*. جامعة بغداد-كلية الآداب.

خالد الروقي. (1987). *النظام المالي الإسلامي من خلال كتاب الأموال لأبي عبيد* (المجلد 1). مكة المكرمة، السعودية: جامعة أم القرى.

شمس الدين الذهبي. (1985). *سير أعلام النبلاء* (المجلد 3). (شعيب الأرناؤوط وآخرون، المحرر) بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة.

شمس الدين الذهبي. (1993). *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام* (المجلد 2). (عبد السلام تدمري، المحرر) بيروت، لبنان: دار الكتاب العربي، .

عبد الصمد إبراهيم عابد. (1984). *تخريج الأحاديث والآثار الواردة في كتاب الأموال لأبي عبيد* (المجلد 1). مكة المكرمة، السعودية: جامعة أم القرى.

علي بن محمد الخزاعي. (1998). *تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية* (المجلد 2). (د. إحسان عباس، المحرر) بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي .

عياض بن موسى اليحصبي. (1965). *ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك* (المجلد 1). الرباط، المملكة المغربية: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

محمد بن إسحاق ابن النديم. (2014). *الفهرست* (المجلد 2). (أيمن فؤاد سيد، المحرر) لندن، إنجلترا: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي.

محمد بن خير بن عمر بن خليفة اللمتوني الأموي الإشبيلي. (1998). *فهرسة ابن خير الإشبيلي* (المجلد 1). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

محمد بن عبد الله بن الأبار. (1995). *التكملة لكتاب الصلة* (المجلد 1). (عبد السلام الهراس، المحرر) لبنان: دار الفكر للطباعة .

محمد بن محمد مخلوف. (2003). *شجرة النور الزكية في طبقات المالكية* (المجلد 1). (عبد المجيد خيالي، المحرر) بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

محمد خليل هراس. (بلا تاريخ). *مقدمة تحقيق كتاب الأموال*. بيروت، لبنان: دار الفكر.

محمد ذياب. (2006). *الفكر الاقتصادي عند أبي جعفر الداودي* (المجلد 1). الجزائر: جامعة الحاج لخضر باتنة.

محمد رضا شحاذة. (2008). *مقدمة تحقيق كتاب الأموال* (المجلد 1). لبنان: دار الكتب العلمية.

ياقوت بن عبد الله الحموي. (1993). *معجم الأدباء* (المجلد 1). (إحسان عباس، المحرر) بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي،.

يحي بن شرف النووي. (-). *تهذيب الأسماء واللغات*. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية،.

يحي بوعزيز. (1995). *أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة* (المجلد 1). بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي .